حرية
عدالة
مواطنة

# البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١١٨) ٢٠١٣/١٢/١٥ م | www.al-badeel.org | Issue (118) 15/12/2013

# مصادرة حلول الأزمة السورية

حسام ميرو

تكشف الكثير من التحليلات عن وجود عجز بنيوي في رؤية الفاعلين الدوليين للحل في سوريا، وهو ما سينعكس تلقائياً على أية صيغة يمكن الوصول إليها في الجولة الثانية من مؤتمر جنيف، وقد لا تكون اللقاءات التي يجريها ممثلو الخارجية الروسية مع عدد من المعارضين السوريين سوى محاولة فارغة المضمون للقول : إننا نسعى إلى الحل.

الحل السياسي اليوم لا يمتلك روافع عملية وواقعية جدية، إذ لا تمتلك واشنطن أو موسكو أية أدوات فعلية للضغط على أطراف الأزمة في سوريا. وثمة اعتقاد يسود أوساط دولية بأن أكبر الشرور التي تنتجها الأزمة يتمثل في الخطر من الإرهاب، وبدرجة ثانية الخوف من أن تفيض الأزمة إلى الدول المجاورة، ويعود من الصعب لملمة أطرافها، أو تفادي نتائجها الكارثية على مجمل الإقليم المشرقي وجواره.

الأزمة السورية باتت شديدة التعقيد ومركبة، ولا يمكن الانطلاق إلى تصور عملي للحل من رؤية جانب واحد للأزمة فقط، أو اقتصار الحل على مستوى دون آخر، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أطراف الأزمة في سوريا لم يستهلكوا بعد ما لديهم من فائض القوة وفائض الوهم، كما أن أطرافاً إقليمية باتت معنية مصيرياً بما ستؤول إليه الأوضاع في سوريا، وكيف ستنعكس النتائج النهائية على المصالح الاستراتيجية لتلك الأطراف في منظومة الأمن في الشرق الأوسط، والتي تعاني من اختلالات كبيرة، ولم تتضح بعد معالمها.

في مسار الأزمة، ساد وهمان أساسيان، تحكما بالمسار الذي اتخذته لاحقاً، وكان لهما بالغ الأثر في إغلاق منافذ الحل السياسي.

تجلى الأول بوهم النظام بإمكانية الحسم عبر استخدام العنف، مستنداً إلى تجربة الثمانينات من القرن الماضي بشكل أساسي، وإلى قناعته بأن الشعب السوري قد أخضع بما فيه الكفاية عبر العقود الماضية، وأن حركة الاحتجاجات سوف تنطفئ أمام هول العنف، وهكذا فإن ما يجري في سورية ليس سوى غمامة ستمر سريعاً.

أما الوهم الثاني فهو اعتقاد أطراف في المعارضة بأن المجتمع الدولي سيكون جاهزاً لتكرار التجربة الليبية، وما أن تنشأ حركة مسلحة في سوريا فإنها ستلقى الدعم ذاته الذي تلقته المعارضة الليبية، وسوف تنشأ منطقة عازلة، ومنها سيكون الزحف تجاه العاصمة دمشق، وبأن الأسد لن يكون بإمكانه حينها إلا أن يختار بين تسليم السلطة أو أن يلقى مصير القذافي.

منذ بداية الانتفاضة كان الحل الصفري هو الأساس في سلوك النظام بالدرجة الأولى، وفي سلوك من تصدّوا لتمثيل المعارضة بالدرجة الثانية، وقد سمح هذا الوضع بنشوء وقائع جديدة على الأرض، ولم تتجلى خطورة تلك الوقائع إلا في وقت متأخر، حيث لم يعد بالإمكان إعادة الزمن إلى الوراء.

إن مسؤولية المجتمع الدولي في الأزمة السورية هي الأخرى كبيرة، فالميل لدى الطرفين الروسي والأمريكي لم يكن سائراً نحو إيجاد حل سياسي، وإنما نحو استخدام الساحة السورية كساحة تنافس، وما تصريحات الطرفين بضرورة إيجاد حل سياسي على مسار الأزمة إلا شكلاً من أشكال الاستهلاك الإعلامي، خاصة أن واشنطن وموسكو تسعيان إلى ترتيب علاقات القوة والمصالح بينهما في ملفات أكثر حيوية من الملف السوري.

في خضم هذا كله، كان النسيج الوطني السوري يتفسخ، ويتفكك معه إطار التعايش الاجتماعي، وتزداد ردود الفعل راديكالية، ويتحول الصراع من صراع من أجل التغيير الديمقراطي والعدالة الاجتماعية إلى صراع من أجل إفناء الآخر، أو استثمار حالة التفكك من أجل مشاريع ما فوق وطنية "دولة الخلافة نموذجاً"، وإعادة بناء العلاقات على أساس طائفي ومناطقي.

إن التفكير في أي حل سياسي لا يأخذ بعين الاعتبار جملة التحولات التي عاشها السوريون خلال مسار الأزمة، وما نتجَ عنها من وقائع، سيكون بمثابة تدوير طواحين الهواء، ولن يكون بإمكانه أن ينتج حلولاً مستدامة، بل سيزيد من تكريس الأزمة، وسيزيد من قناعة كل الأطراف بضرورة التكيّف مع الأزمة بانتظار تحولات نوعية ما زال الواقع لا يتوافر عليها حتى اللحظة.

# انسحاب «أحرار الشام» من مقراتهم في مسكنة بحلب بعد معارك مع «داعش»

■ محمد إقبال بلو- خاص "البديل":

معارك متفرقة جرت خلال الأسبوع الماضي في ريف حلب الشرقي، وفي مسكنة بالتحديد، بين الجبهة الإسلامية "أحرار الشام" وبين تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ، تعددت الأسباب في رواية الطرفين، وألقى كل منهما اللوم على الآخر. وكانت نتيجة المعارك بين الطرفين قد أسفرت عن سقوط سبعة قتلى من أحرار الشام وخمسة قتلى من تنظيم الدولة الإسلامية ، ثم اعلن أحرار الشام أنهم سينسحبون من مقراتهم هناك "منعاً لسفك دماء المسلمين" ، وقاموا بالانسحاب فيما استولت "داعش" على المقرات التابعة لهم كعادتها في احتلال المناطق "المحررة" بالقوة وبتهديد السلاح.

وبحسب بيان حركة أ حرار الشام الإسلامية فإن أصل الخلاف هو أن الحركة استدعت شخصاً للمحاكمة وبينما هو في طريقه للمحكمة قام عناصر الدولة باعتقاله، وعند وساطة وفد من الحركة لتركه وتسليمه إلى أحرار الشام رفض التنظيم استقبال الوفد، وتحدث عن أن أحرار الشام قاموا بهجوم مسلح على مقر "داعش" ، وأرسلوا من قبلهم دورية مسلحة لاعتقال رئيس الوفد، فما كان من مقاتلي حركة أحرار الشام إلا أن دافعوا عنه، وهنا بدأت المناوشات بينهما..

بعد ذلك تم إرسال أمير لواء مصعب بن عمير التابع لحركة الأحرار للتفاوض فتم اعتقاله من قبل تنظيم الدولة، وبعدها قامت مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم الدولة بمهاجمة أحد الحواجز التابعة لحركة أحرار الشام وهكذا بدأت المعارك بينهما، ثم تطورت إلى أن حاصر مقاتلو "داعش" مقرات أحرار الشام حيث فضل قادة الحركة عدم "إراقة دماء

المسلمين" وقرروا الانسحاب وأصدروا بياناً يوضح طبيعة المشكلة التي أدت للقتال مع "داعش" التي رفضت– بحسب البيان، أية وساطات من أطراف أخرى لحل الخلاف، وتجنب الاقتتال، وأعربت الحركة في بيانها عن الأسف لسقوط قتلى وجرحى في نعارك بين "المسلمين"، ورأت أن الخلاف كان يمكن حله من دون أن يصل إلى ما وصل إليه من تطورات.

وفي سياق متصل، أرسل أحد امراء حركة أحرار الشام رسالة إلى البغدادي قائد تنظيم الدولة جاء فيها: "اضبط جنودك، وراجع سياستهم، فنحن في سفينة واحدة إن غرقت غرقنا جميعا. وتباً لمن رفض الاحتكام للشرع ٣ مرات".

ويستمر تنظيم "داعش" في معاركه مع فصائل الجيش الحر وغيرها متجاهلاً أولوية القتال ضد النظام، وحسب مكتب إعلاميين بلا حدود في الرقة : أن هناك اشتباكات اندلعت بين التنظيم وجبهة النصرة هناك، وأيضاً قامت "النصرة" بسحب حواجزها من الرقة منعاً لسفك الدماء .

وقال ابراهيم الأحمد حول الموضوع : لم تبق منطقة محررة إلا وافسدوها بإجرامهم، عدد القتلى الآن في مدينة مسكنة 10 أشخاص، والسبب هو "داعش"، وأضاف: لم نعهد في بلادنا استباحة للدماء بهذه الطريقة الفجة باسم الدين إلا في زمن "داعش".

من جهة أخرى، اعتقل الدكتور حسين السليمان مدير معبر تل أبيض الحدودي، وهو أيضاً من حركة أحرار الشام من قبل تنظيم الدولة، بالإضافة إلى أنه تم تأكيد وصول عدد جرحى الحركة إلى أكثر من 15 جريحاً معظمهم في حالة خطرة.

# التقرير النهائي للأمم المتحدة يؤكد استعمال أسلحة كيماوية مراراً في سوريا

■ رويترز

قال التقرير النهائي لتحقيق للأمم المتحدة نشر يوم الخميس الماضي (تقرير من 82 صفحة) إن خبراء وجدوا أدلة على أنه تمّ على الأرجح استعمال أسلحة كيماوية في خمسة من سبع هجمات قام خبراء للمنظمة الدولية بالتحقيق فيها في سوريا.

وقال محققو الأمم المتحدة إن غاز الأعصاب المميت السارين استخدم على الأرجح في أربعة حوادث، وفي أحدها على نطاق واسع.

ولاحظ التقرير أنه في عدة حالات كان بين الضحايا جنود ومدنيون، ولكن لم يكن ممكنا دائما إثبات أي صلات مباشرة على وجه اليقين بين الهجمات والضحايا والمواقع المزعومة للحوادث.

وقال التقرير الختامي لكبير محققي الأمم المتحدة آكي سيلستروم «خلصت بعثة الأمم المتحدة إلى أن أسلحة كيماوية استخدمت في الصراع الدائر بين الأطراف في الجمهورية العربية السورية».

ووجد التحقيق أدلة على احتمال مرجح لاستخدام أسلحة كيماوية في خان العسل بالقرب من مدينة حلب الشمالية في آذار الماضي، وفي سراقب بالقرب مدينة إدلب الشمالية في نيسان الماضي، وفي جوبر وأشرفية صحنايا قرب دمشق في آب الماضي.

وكما ذكر سيلستروم في تقرير مبدئي سابق وجد الخبراء «أدلة واضحة ومقنعة» على أن غاز الأعصاب السارين استخدم على نطاق واسع ضد المدنيين في ضاحية غوطة دمشق التي يسيطر عليها مقاتلو المعارضة في 21 آب الماضي، وهو ما تسبب في مقتل مئات من الناس.

واقتصر التحقيق على محاولة معرفة هل تم استخدام أسلحة كيماوية وليس على الجهة التي استخدمتها. وكانت الحكومة والمعارضة في سوريا تبادلتا الاتهام باستخدام الأسلحة الكيماوية وهو ما نفاه الجانبان كلاهما، وتقول دول غربية إن المعارضين لم يتمكنوا من الحصول على أسلحة كيماوية.

وسلّم سيلستروم التقرير النهائي لبان كي مون الذي قال إن «استخدام الأسلحة الكيماوية انتهاك خطير للقانون الدولي وإهانة لإنسانيتنا المشتركة. ويجب أن نبقى يقظين لضمان أن يتم إزالة هذه الأسلحة الرهيبة لا في سوريا وحدها وإنما في كل مكان».

ويذكر أنه تم تكليف منظمة حظر الأسلحة الكيماوية ومقرها لاهاي بالإشراف على إزالة ترسانة سوريا من الأسلحة الكيماوية.

### بعضهم أكل الثلج وأطفال ماتوا برداً وآخرين غرقت بهم مخيمات اللجوء

# السوريون في مواجهة «أليكسا» معاناة ومأساة و«سخرية القدر»

البديل- رويترز- وكالات:

فرضت العاصفة الشتوية أليكسا معاناة إضافية على السوريين، وكانت العاصفة التي بدأت خلال الأسبوع الماضي قد هبّت على مناطق شاسعة في كل من سوريا ولبنان والأردن والأراضي الفلسطينية، وأتت العاصفة أليكسا مصحوبة بالثلوج والأمطار وانخفاض شديد في درجات الحرارة.

وتلحق الأحوال الجوية السيئة التي بدأت يوم الأربعاء الماضي أضراراً كبيرة بنحو 2.2 مليون لاجئ يعيشون خارج سوريا و6.5 مليون نزحوا داخل البلاد.

واجتاح البرد القارس والأمطار الغزيرة مخيم الزعتري الذي يأوي 80 ألفا من بين ما يزيد على نصف مليون لاجئ سوري في الأردن.

ومن بين هؤلاء اللاجئين خليل أطمة من مدينة الصنمين في جنوب سوريا والذي كان يرتجف هو وابنتاه من شدة البرد في غرفة أغرقتها المياه وتخلو من وسائل التدفئة، وقال خليل "انتقلنا من مأساة إلى أخرى".

وتقول منظمات الإغاثة إنها تعمل على مدار الساعة لإجلاء اللاجئين من المخيمات التي أغرقتها المياه وتوزيع المواد الغذائية والإمدادات والملابس ولكنها لا تستطيع تلبية الاحتياجات.

وقالت صبا الموباصلات مديرة منظمة سيف ذا تشيلدرن (انقذوا الأطفال) في الأردن وهي المنظمة التي تدير مخيم الزعتري إن هؤلاء الأشخاص يحتاجون إلى استعدادات أكبر بكثير للشتاء، والمنظمات تبذل قصارى جهدها، ولكن الأحوال الجوية الشتوية قاسية.

وفي لبنان هناك ما يربو على 835 ألف سوري يعيشون في خيام أو مبانٍ مهجورة أو مع أصدقائهم وأسرهم. وقالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) إن الاحتياجات تفوق ما يمكن أن توفره هي والمنظمات المتعاونة معها.

وفي تركيا قال مصطفى ايدوجو المتحدث باسم هيئة إدارة الطوارئ والكوارث التابعة لرئاسة الوزراء إن السلطات وزعت أغطية وملابس شتوية إضافية على كثيرين من اللاجئين السوريين البالغ عددهم 206 آلاف لاجئ في المخيمات الكائنة على طول الحدود.

ورغم هذه الأحوال الجوية تواصلت عمليات القصف والاشتباكات هذا الأسبوع في سوريا.

وأظهرت صور نشرت على موقع تويتر بعض مقاتلي المعارضة وهم يسيرون وسط الثلوج ويحملون أسلحة آلية وقاذفات صواريخ.

وفي صور أخرى التقطت في مدينة حمص في وسط سوريا ظهرت منازل دمرها القتال الدائر في الشوارع والغارات الجوية وتغطيها حالياً طبقة سميكة من الثلوج.

وبثت قناة تلفزيونية يوم الجمعة الماضي صورة لطفل يقال إنه توفى جراء تعرضه للبرد في سوريا.

هذا، ويوزع برنامج الأغذية العالمي عشرة آلاف لتر من الوقود لأغراض الطهي والتدفئة على أسر نزحت داخل البلاد وتعيش في عشرة أماكن إيواء بالعاصمة دمشق.

وقال ماثيو هولينجورث مدير برنامج الأغذية العالمي في سوريا إن الكثير من السوريين فروا من دون أن يأخذوا معهم ما يكفيهم من الملابس الثقيلة أو الأغطية.

وأضاف : "دائما ما يكون الطقس في سوريا شديد البرودة في فصل الشتاء، ولكن الأمر يختلف تماما عندما تواجه شتاءً قارساً في أماكن إيواء مواردها محدودة للغاية بدلاً من الراحة التي تنعم بها في منزلك".

وحالت الثلوج أيضا دون بدء الأمم المتحدة في نقل إمدادات الإغاثة جواً من العراق إلى عشرات الآلاف من السكان في المناطق الكردية النائية بشمال شرق سوريا.

وأفاد ناشطون أن أكثر من عشرة أطفال توفوا جراء البرد الشديد، وبعضهم في مدينة حمص، حيث تعيش الكثير من الأسر في ظل ظروف قاسية، ولا يتوافر لديها وقود للتدفئة، أو أغطية تقي أفرادها البرد الشديد الذي رافق العاصفة.

في مخيم اليرموك في دمشق، يقوم البعض بتفكيك المقاعد الدراسية، من أجل استخدام الخشب للتدفئة، ويعاني المخيم من أوضاع إنسانية كارثية، وفقدان المواد الغذائية الضرورية، وهو ما يجعل أثر العاصفة الثلجية أكثر سوءاً من مناطق أخرى في دمشق، وكانت لجنة من المخيم قد أطلقت في وقت سابق نداءً خاطبت فيه منظمة التحرير الفلسطينية والفصائل الفلسطينية الأخرى والمنظمات الأممية من أجل فك الحصار المفروض على المخيم، وإدخال المواد الغذائية.

وفي معظم الريف الشرقي للعاصمة دمشق عانى الأهالي والمقاتلين على حد سواء من البرد الشديد، وعدم توفر وقود التدفئة، وقد زاد سعر المازوت في دوما عن أكثر من 1000 ليرة سورية، بينما تخطى سعر ليتر البنزين حاجز 3000 ليرة سورية، مع الإشارة إلى ندرة هاتين المادتين.

وفي مناطق محيطة بالعاصمة دمشق تناول السوريون الثلج بدلاً من الطعام كما في معضمية الشام التي تعاني حصاراً خانقاً منذ أشهر.

أما الحصول على الخبز خلال الأيام الماضية فقد أصبح أمراً شبه مستحيل في مناطق مختلفة، حيث أغلقت الثلوج طرقات عديدة، ولم تتمكن الكثير من الأفران من العمل بسبب سوء الأحوال الجوية، وعدم وجود ما يكفي من مادة الطحين.

هذا وعلق ناشطون سوريون على صفحات التواصل الاجتماعي معبرين عن ما اعتبروه "سخرية القدر"، حيث كانوا في السنوات التي سبقت الانتفاضة السورية يتمنون سقوط الثلج، بينما تتساقط الثلوج الآن لتضيف مأساة شديدة إلى مآسيهم الكثيرة، وقد تعطلت الكهرباء في مدن سورية عدة، وداخل العاصمة دمشق، بالإضافة إلى سوء شبكة الإنترنيت، والتي أصبحت لبعض السوريين أداة التواصل الوحيدة مع العالم، في ظل انقطاع الطرقات.

# تعامل أمريكا مع الجبهة الإسلامية ضرورة من أجل التسوية

■ فيصل عيتاني- مجلس «أتلانتيك»- ترجمة وإعداد «البديل»:

إن أهم تطور في الصراع السوري اليوم ليس نزع السلاح الأسلحة الكيميائية لنظام الأسد، ولا المواقف الدولية من عملية جنيف الثانية، ولكن انخراط الولايات المتحدة مع المشكلة التي نشأ. مؤخراً، وهي تشكيل الجبهة الإسلامية، وهي مؤلفة من عدة ميليشيات إسلامية. إذ أن سياسة الولايات المتحدة غير الواضحة والمترددة تجاه الأزمة السورية بدأت تنعكس على الواقع بشكل سلبي، ولكنه غير مقنع.

الذين يتوقعون أن يتنحى بشار الأسد من دون أن يبدي مقاومة كبيرة هم خاطئون، وهو ما أثبتته وقائع الأزمة السورية، وعلينا فقط أن نتخيل كيف ظهرت حركة الاحتجاج السلمي بقوة ثم انطفأت، وذلك نتيجة للشرور المزدوجة التي مارسها كل من نظام الأسد والجهاديين التكفيريين. واليوم تستمر مغادرة الناشطين المدنيين للبلاد بسبب أعمال العنف التي تمارس بلا هوادة من قبل النظام والمتعصبين في جبهة المعارضة المسلحة، ولم يعد في سوريا سوى القليل من الاحتجاجات السلمية.

يبدو صعود المتمردين الجهاديين كأحد الحجج التي تدافع بها أمريكا عن موقفها المتعلق بعدم تسليح المعارضة المسلحة، لكن هذه الحجة ضعيفة وغير صحيحة. لم يكن توجه الانتفاضة إلى التطرف الديني أمراً محتماً، ولم يكن محتماً أيضاً أن يصبح المقاتلون غير الإسلاميين داخل الجيش السوري الحر في موقف مهمش إزاء المجاهدين الإسلاميين الذين يتمتعون بتسليح وتمويل أكبر. وأدى تخلي الولايات المتحدة عن دعم الجيش الحر إلى وضعه تحت رحمة النظام والجهاديين الذين يرفضون علناً الوطنية السورية. أعطى تمكين المتعصبين حجةً جديدة لدوائر السياسة الأمريكية ووسائل الإعلام ضد مساعدة مقاتلي المعارضة. في حين أنه قد يكون من الخطأ التخلي عن الجيش الحر في سوريا ، ومع ذلك هناك من يقول في الدوائر الأمريكية إنه من الخطأ دعم قوى المعارضة، ويزعم أن الحرب في سوريا الآن أصبحت حرباً بين النظام و الجهاديين ، في الواقع ، إن أنصار هذه الحجة ، قد يعتبرون انتصارا النظام هو الأفضل، وهم يدافعون عن حجتهم من خلال الألعاب البهلوانية الفكرية، و للأسف المختلقة، إن هذه الآلية في التفكير مسؤولة جزئياً عن كابوس سوريا، وهو ما يؤكد ضرورة التخلي عنها، واستبدالها بطريقة أخرى غي التحليل.

ومع غياب الرؤية الأمريكية الواضحة لم تتمكن قطر والسعودية من ملء الفراغ في مواجهة نظام الأسد وإيران، ولم يكن هناك لدى الإدارة الأمريكية للتعامل مع الوضع السوري كما هو، بل كما يحلو لها، وهو ما سهل نمو الجماعات الإسلامية، ونشوء تحالف واسع النطاق فيما بينها تحت مظلة إسلامية، وهو ما يشكل عائقاً أمام توجهات الإدارة الأمريكية في حشد الدعم لمفاوضات جنيف الثانية. تدريجياً، وعلى مضض كبير للغاية، فإن إدارة أوباما ترى بأن نشوء هذا التحالف أمر مهم، فهو بتركيبته يقع بين العلمانيين والجهاديين التكفيريين من حيث الانتماء الأيديولوجي، كما أنه يبرز بوصفه الممثل الأكبر داخل قوى المعارضة المسلحة، أو الجهات الفاعلة على الأرض، وهذا الإدراك المتأخر من قبل إدارة أوباما يكشف عن توجه مختلف عن موقفها الذي تبنته سابقاً، والذي كان ينظر إلى تسليح المعارضة بوصفه يصب في خانة عسكرة الوضع السوري، ما يجعل التسوية أقل احتمالاً، لكن التسوية غير ممكنة، وهو ما تكشف للإدارة الأمريكية، من دون وجود قوة مسلحة بشكل جيد في المعارضة، إذ أن من يمتلك القوة هو الذي سيقرر ما إذا كان و كيف ستنتهي الحرب في سوريا.

الجبهة الإسلامية هي أيضا الجماعة المتمردة الأقدر في نهاية المطاف على احتواء وتدمير دولة العراق الإسلامية التكفيرية و الشام ( داعش) ، والتي تتصرف بعدائية مناهضة للمجتمع، وتستخدم العنف الذي لا يضاهيه أو يوازيه سوى عنف النظام السوري وشبيحته، وبالطبع أسهم في هذا الوضع تحلي الولايات المتحدة الأمريكية عن هيئة الرقابة المالية حول سوريا، واليوم سيتطلب قتال (داعش) وتدميرها وجود تعاون غير مستساغ أمريكياً بين الإدارة وبين الجبهة الإسلامية.

إن تراجع هيئة الرقابة المالية، وصعود الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) يشيران إلى مدى شلل الولايات المتحدة بما يخص النزاع السوري، لكن هذا الأمر بحد ذاته يعطي لتعاون الإدارة مع الجبهة الإسلامية أهمية متزايدة.

لم يفت الأوان لإنقاذ سوريا من أسوأ نتائج ممكنة ، إما انتصار للنظام أو للتكفيريين الجهاديين ، ولكن الأمر سوف يتطلب التعامل مع القضايا بشروط مواتية أقل بكثير مما هو مرغوب فيه للولايات المتحدة.

# درب الآلام والحقائق المرعبة.. ألف يوم من الثورة السورية

غازي دحمان

مرّ على ثورة السوريين ألف يوم تغيّرت خلالها شكل خارطة العلاقات السلطوية داخل البلاد، وتزعزعت معها منظومة القيم وشبكة العلاقات التي رسمها نظام حكم جثم على قلوب السوريين عشرات السنين، ومعها تغيّرت خارطة الاجتماع والعمران السوريين، وتغيرت معهما أيضاً رؤى وتصورات السوريين عن بلدهم ومستقبلها ومستقبل علاقاتها الإقليمية والدولية، فقط شيء واحد لم يتغيّر خلال تلك المسيرة، وهو الإصرار على الحرية والتمسك بثوابت انطلاقتهم الأولى» الموت ولا المذلة».

ألف يوم، تطور خلالها نظام الحكم وتحول إلى ما يشبه المافيا المأجورة التي أوكل إليها تنفيذ مصالح الأطراف الإقليمية والدولية، وحلحلة أزماتها وملفاتها المعقدة مع البيئة الدولية على جسد السوريين، وهكذا صار النظام يعمل بالقطاعي والأجر اليومي لدى زعماء الكرملين وطهران، مقابل الحصول على سلاح يكفي لصد زخم الثورة وتمويل يبقي النظام واقفاً على قدميه، في الوقت الذي لم يكن لدى تلك الأطراف غير ابتزاز العالم بالدم السوري يحملانه ويطرقان الأبواب بحثاً عن صفقة وعمن يشتري.

وفي الطريق إلى ذلك الهدف مارس النظام ، ومن خلفه جيوش من مرتزقة إيران وأتباعها، كل أنواع الجريمة المنظمة وبكل أنواع الأسلحة، من السكين إلى الكيماوي، وما بينهما من براميل وصواريخ سكود وراجمات صواريخ ورصاص حي، أما الضحايا فهم بيئة الثورة، الناس الذين خرجت الثورة من بين ظهرانيهم، سكان العشوائيات والأرياف» السنية»، حيث لم يعد معيباً تسمية الأشياء بمسمياتها وحقائقها، وقد شكل النظام

## ألف يوم تطور خلالها نظام الحكم وتحول إلى مافيا مأجورة

لإنجاز مهمة القضاء على الثورة وبيئتها مجموعة من فرق الموت تتبع مباشرة للحرس الجمهوري الإيراني ذات التركيبة الطائفية، وعناصر من الحرس الثوري الإيراني، بالإضافة إلى الشبيحة وعناصر حزب الله، وقد انخرطت مؤخراً تشكيلات من الجيش العراقي في هذه المهمة.

ألف يوم من ثورة السوريين أيضاً كانت فترة كافية لكشف زيف الإدعاءات العالمية عن حقوق الإنسان، ولعله من المفارقة تصادف هذا الحدث مع الاحتفال العالمي بيوم حقوق الإنسان، فيما القيم الإنسانية تئن على المذبح السوري، وإذ كان تقييم مواقف الدول من المأساة السورية يصطدم بمسألة المصالح الدولية وتعقيداتها باعتبار أن السياسة بحد ذاتها تنطوي على قدر كبير من الانتهازية واللا أخلاقية، فإن الكلام عن مواقف المجتمعات، وخصوصاً تلك التي تدعي انتماؤها لحضارة القيم الإنسانية، يستدعي الكثير من الشجن والأسف على مستوى الانحطاط الذي بلغته مواقفها من المأساة السورية، ويكفي أن تلك المجتمعات حرّضت قياداتها على عدم التدخل لإنقاذ الإنسانية في سورية من الموت العلني.

ألف يوم من الثورة أيضاً كانت كافية ليكتشف السوريين زيف الحديث عن الوطنية والوطن والشراكة، حيث امتشق إخوة الوطن السلاح لذبح إخوتهم والتنكيل بهم، أو في أحسن الأحوال البقاء متفرجين، فباسم وتحت دعاوى محاربة التكفيريين استنفرت مكونات كثيرة كل طاقتها وعنفوانها وانخرطت تحت لواء النظام لقتل وإعادة إخضاع شركائهم في الوطن للحكم ، وكانت تلك الأطراف انتظرت لأكثر من ستة أشهر لتنهي الثورة سلميتها، مضطرة تحت سكين النظام وهي تغل بأعناق أبناءها، فقط حينها سمع السوريين صوت» شركائهم» حين بدئوا يعلنون الحرب في مناطق التماس ويؤكدون أنها حرب لا رحمة فيها، فإما أن تكون قاتلاً أو تصبح مقتولاً!.

ألف يوم، أعداد القتلى لم يعد بالإمكان حصرها، العالم ومنظماته انتهوا من هذه المهمة منذ زمن، غير أن بعض التقديرات ترجح أن عددهم يصل إلى ربع مليون قتيل، أعداد الجرحى لم تعد من ضمن الاهتمامات رغم أن نسب الإعاقة تجاوزت حتى الأرقام الصادمة، ثم تسريبات تقول ان هناك تعمية مقصودة من قبل المنظمات الدولية عن أعداد القتلى، كي لا يشكل ذلك حرجاً للدول والمجتمعات العالمية، أما أعداد النازحين فهي باتت بالملايين، وهناك قطاعات جغرافية بأكملها قد جرى إفراغها بشكل ممنهج وعلى أساس طائفي تمهيداً لملأها بمكونات وحتى جنسيات غير سورية، أما نسبة الخراب فتلك ما لم يعد بالإمكان حصرها بعد أن تجاوزت حدود التصوّر.

وبالرغم من هذه النتيجة المأساوية، فإن إرادة الثوار لم تزل توقد شعلة الثورة، ولم يزل على تلك الأرض ما يستحق الحياة وما يستحق النضال من أجل الكرامة والتحرر من الاستعباد، ألف يوم ومواجهة مستمرة مع جيوش وقوى وتحالفات إقليمية ودولية، لكن الحلم مستمر والأمل لا زال مشعاً.

# «اللقيس» وحيرة «الحزب» في توجيه الاتهامات وعودة سلاح الاغتيال

انتشرت الشائعات في بيروت بعد اغتيال حسان اللقيس القيادي في حزب الله، وأفاد أحد المصادر أن «اللقيس» أصيب بجروح خطيرة في معركة في جبال القلمون في سوريا حيث كان يقاتل إلى جانب قوات النظام، ونقل إلى بيروت لإنقاذ حياته، وتوفي هناك ، لكن حزب الله تجنّب ذكر هذه الحقيقة لأنه من شأنها إضعاف معنويات مقاتلي الحزب.

ترددت شائعات أن عملية الاغتيال كانت عملية سعودية إسرائيلية مشتركة، بينما أعلن البعض أن «اللقيس» لم يقتل. أما الشائعة حول مشاركة السعودية في عملية الاغتيال تكمن وراءها قناعة الحزب بأن السعودية تحاربها عبر أتباع لها في لبنان. في الواقع، وقبل ساعات فقط من وفاة «اللقيس»، لمح حسن نصر الله السعوديين في حديث متلفز دام ثلاث ساعات لمح إلى تورط الرياض بالتفجيرات الانتحارية التي استهدفت السفارة الايرانية في بيروت في 19 نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي.

الحقيقة هي أن اللقيس قتل بالطريقة التي تناقلتها مختلف التقارير الإخبارية، ألا وهي أنه توفي بعد إصابته بخمس طلقات من سلاح 9 ملم مجهز بكاتم للصوت. وليس هناك أدنى شك أن تلك العملية قام بها متخصصون في التخطيط. وفي الواقع فإن حزب الله يعتقد أنها عملية سعودية إسرائيلية مشتركة، الأمر الذي يشكل معضلة خطيرة، ويمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية انتقاما من حزب الله وقد تسبب ضررا على الأهداف الاستراتيجية الإيرانية، حيث تؤكد إيران في الوقت الحاضر على أولوية التقارب مع الغرب، جنباً إلى جنب مع سعي إدارة أوباما لإقناع الكونغرس بتخفيف العقوبات على ايران.

وقالت مصادر مقربة من الحزب في جنوب بيروت تعليقاً على ما أسمته « كبح جماح حزب الله للرد على اغتيال اللقيس» إن الحزب في الوقت الراهن لن يقوم بالرد ، لكن قد يكون هذا الرد من خلال عمليات على مستوى منخفض، مثل استهداف أحد قادة الجهاديين في طرابلس، أو في أي مكان آخر في جنوب لبنان.

تشير البيئة العامة في جنوب بيروت إلى أن أتباع حزب الله يضغطون على قياداتهم للانتقام لمقتل «اللقيس»، ولكن قياساً إلى تاريخ حزب الله فهو حزب منضبط لجهة التزام عناصره بأوامر القيادة.

إن اغتيال «اللقيس» وما تشهده المنطقة من تحولات يشير إلى أن استخدام الاغتيالات السياسية سيكون أحد الأسلحة السياسية التي ستكون مستخدمة على نطاق واسع لبنانياً وإقليمياً في السنوات المقبلة.

هذا الواقع هو «الخبر جيد» لشركات الأمن الخاصة هو أن الاغتيال السياسي آخذ في الارتفاع مرة أخرى في الشرق الأوسط، وسيتخذ أنماطاً متعددة، وسيكون لبنان كالمعتاد هو نقطة البدء. و من المؤكد أن الموجة المقبلة سوف تنتشر، و لأسباب متعددة، في مصر وغيرها من الدول العربية.

# الدلالات السياسية لتشكيل الجبهة الإسلامية في سوريا

يشكل إنشاء الجبهة الإسلامية في سوريا نقطة تحوّل مهمة في مسار الحرب السورية، والصراع بين السنة والشيعة في الشرق الأوسط، و الجبهة الإسلامية التي أعلن عنها من قبل ست منظمات مسلحة في 22 نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي لا تتضمن دولة العراق الإسلامية وبلاد الشام (داعش) أو جبهة النصرة. ويخلق اندماج المجموعات الست قوةً كبيرة وفاعلة على أرض الواقع، وخصوصا أن إنشاء الجبهة قام على درجة كبيرة من الانسجام في هيكلية قيادتها.

في الوقت الحاضر، نشهد تحركات دبلوماسية مكثفة في لندن للحصول على الموافقة لانضمام «الجبهة» إلى جنيف 2. مع توجه الجبهة إلى إثبات وجودها في كل مكان، كي تكون أكبر فصيل ممثل للمعارضة المسلحة، وبالتالي، فإن أعداداً متزايدة من المراقبين يشككون في إمكانية عقد مؤتمر جنيف 2 في الإطار الزمني المقرر له من 22 يناير، خاصة أن «الجبهة» رفضت الانضمام الى المؤتمر في حال لم تقدم ضمانات حول رحيل الأسد عن السلطة.

في الواقع يعتبر إنشاء الجبهة الإسلامية تغييراً كبيراً ، فبدلاً من أن يُطرق باب الجيش السوري الحر لضمان المشاركة الفعالة من قبل المعارضة، يجب على منظمي جنيف 2 الآن التوجه الى الجبهة الإسلامية. أو، يمكن للمرء القول، إن استمرار الدبلوماسية السعودية في سياستها أسفرت عن إنشاء الجبهة الإسلامية.

إن فشل خطاب السياسة الأمريكية حول سوريا هو مثال واضح على ارتكاب واشنطن للأخطاء المتتالية، حيث فقدت أية قدرة للتأثير على الصراع، وهو ما يدعوها للنظر حول تقييم الأوضع الجديدة، والنظر إلى حدود الفشل الذي يمتد إلى أبعد من سورية.

الجميع يعرف أن هناك طريقة واحدة للقراءة المتخصصة حول الصراع في سوريا، في سياق الحرب الإقليمية بالوكالة بين السعودية وإيران، فالمعارضة أصبحت في أيدي السعوديين. وأياً كان من يخطط أو يحلم في واشنطن فخططه لن تتحقق حول جنيف 2 حتى لو أعطى الجيش الحر موافقته.

وهذا الواقع يؤدي إلى حالة مثيرة للاهتمام هذا الصيف حيث توقيت الانتخابات الرئاسية السورية (الغريب أن توقيت الانتخابات سيتم في الوقت نفسه الذي سينجز فيه الاتفاق الغربي الإيراني)، فإذا كان اتفاق جنيف 2 هدفه الضغط على بشار الأسد لعدم الترشح للرئاسة مع الحفاظ على جميع مكونات دولته دون مساس، فإن هذا الهدف لن يكون قابلاً للتحقق إذا رفضت السعودية قبوله، وعليه فإن الجبهة الإسلامية سوف ترفض وقف اطلاق النار في تلك المرحلة، حتى لو صرّح الأسد تحت الضغوط الإيرانية بأنه لن يبقى في الحكم.

في الوقت الحاضر، تبدو الدبلوماسية الأميركية، إلى حدٍ كبير، مثل طائر بلا أجنحة.

# هل الدبلوماسية السعودية - الروسية تحت تصرف واشنطن؟

للمرة الثانية في غضون أشهر قليلة، قام الأمير بندر بن سلطان، رئيس المخابرات السعودية، بزيارة موسكو للتشاور مع كبار المسؤولين الروس، بمن فيهم الرئيس فلاديمير بوتين ووزير الخارجية سيرغي لافروف. في حين أن المواضيع المزمع طرحها في هذه المحادثات هي الصفقة بين «خمسة زائد واحد» وإيران، إلا أن الهدف الرئيسي من هذه الزيارة كان تعزيز دبلوماسية ثنائية جديدة بين البلدين بعيدة المدى تنعكس آثارها على منطقة الشرق الأوسط بأكملها.

وتخلص كل من موسكو والرياض إلى نفس النتيجة، وهي أن تأثير الولايات المتحدة في عهد الرئيس أوباما، قد تراجع في المنطقة ، مما أتاح الفرصة لترتيبات استراتيجية جديدة، على مدى السنوات الثلاث المقبلة على الأقل. فروسيا تريد أن تخترق سوق مجلس التعاون الخليجي (GCC) لبيع أنظمة أسلحة متقدمة ومحطات الطاقة النووية، وهما صادرات التكنولوجيا المتطورة الأهم بالنسبة لروسيا، والمملكة العربية السعودية تحمل مفتاح هذه الفرصة، فضلا عن صفقات أسلحة محتملة أكبر مع مصر.

كما تدرك المملكة العربية السعودية أن روسيا والولايات المتحدة تشاركان في الاستعدادات المكثفة لمؤتمر جنيف 2 الذي سوف يعقد في 22 يناير 2014، مع إصرار الأمير بندر على إبقاء إيران خارج المؤتمر. كما أنه من المؤكد أن الرياض لا تثق بالرئيس أوباما لتمثيل وجهات نظرها إلى روسيا قبل اجتماعات جنيف . ويدرك الأمير بندر أنه على الرغم من ضخ الأموال والسلاح والمقاتلين الجهاديين في سوريا، فإن الفصائل السلفية المتشددة بقيادة الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش) وجبهة النصرة تواجه أيضاً زيادة في الضغوط القتالية.

بالإضافة إلى أن المملكة العربية السعودية تواجه ضغوطاً دولية متزايدة لوقف دعمها للقوات الإسلامية في سوريا. وقد زادت هذه الضغوط في الأسابيع الأخيرة مع انتشار النزاع السوري إلى لبنان. تفجير السفارة الايرانية في بيروت والتفجيرات الانتحارية ضد أهداف حزب الله الأخرى، واغتيال حسن اللقيس، التي زادت المخاوف من امتداد الصراع السوري إلى لبنان.

في حديث مع بوتين، أصر الأمير بندر على ضرورة استشارة المملكة العربية السعودية مباشرة فيما يتعلق بأية خطط للحكومة السورية المؤقتة لضمان أن الفصائل السنية المدعومة من السعودية سوف يتم تمثيلها في تلك الحكومة الانتقالية، لدفع مؤتمر جنيف 2 إلى الأمام.

من خلال توجهات الأمير بندر، فإن المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي الأخرى ستقوم بتعزيز الجيش الإسلامي الجديد لمواجهة جماعات تنظيم القاعدة العلنية العاملة في سورية والعراق ولبنان. كما أكدت مصادر إقليمية إن 30.000 مقاتل من الجيش الإسلامي يجري تدريبهم حاليا في باكستان على حساب السعودية، ولكن تقديرات الاستخبارات الأمريكية أن العدد أقل بكثير. ومع ذلك، فإن الجيش الإسلامي قوة لا يستهان بها، كما أن المملكة العربية السعودية تقوم ببناء قوة جديدة، يفترض أن تكون السيطرة عليها للإسلاميين، ومتمايزة عن تنظيم القاعدة، لتعزيز قوة المصالح السعودية في الصراع الدائر مع إيران.

# ازدهار العلاقات التجارية السعودية الأمريكية رغم الخلافات السياسية

لا تزال العلاقات الاقتصادية بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة قوية وتستمر في النمو على الرغم من الخلافات بين الرياض وإدارة أوباما حول إيران. وتم التأكيد على عمق هذه العلاقات في المنتدى السنوي الثالث للفرص التجارية بين الولايات المتحدة والسعودية الذي عقد مؤخرا في لوس أنجلوس بتوجيهات من وزير التجارة بيني بريتزكر، وحضره 1200 من كبار رجال الأعمال.

وتضاعف حجم التجارة الثنائية بين الولايات المتحدة والمملكة ثلاث مرات خلال السنوات العشر الماضية، وسوف تصل صادرات الولايات المتحدة إلى المملكة العربية السعودية، في عام 2013 التي يتألف معظمها من وسائل النقل ،التكنولوجيا المتفوقة، والعسكرية، والمعدات الطبية والطاقة، إلى أكثر من 20 مليار دولار. وتزداد التجارة بين البلدين، وتضم التكنولوجيات الراقية والبنية التحتية لتلبية خطط التنمية الطموحة في المملكة على مدى العقود المقبلة.

يصل عدد سكان المملكة الذين تقل أعمارهم عن 20 عاماً إلى 60% من مجمل السكان، وتهدف الحكومة السعودية في إطار برنامج «الطاقات» إلى تعزيز العمالة المحلية، وإنشاء 500 ألف وظيفة عمل لمواطنيها.

الشركات الأمريكية والدولية الرئيسية، بما في ذلك شركة فايزر للأدوية، وفولفو وشركة الصين (أكبر مصنع في العالم للحاويات)، افتتحت مؤخراً مراكز تصنيع جديدة في مدينة الملك عبد الله الاقتصادية، إلى جانب بناء الميناء الجديد (بمساحة واشنطن DC ) على بعد 100 كيلومتر إلى الشمال من ميناء جدة. وقد أطلع الرئيس التنفيذي لمدينة الملك عبدالله الاقتصادية، فهد الرشيد، وهو خريج من جامعة ستانفورد، منتدى لوس انجليس على خطط لتوسيع مدينة الملك عبدالله الاقتصادية إلى مركز صناعي ونقل لمليوني نسمة، مما يجعلها أكبر المدن المخططة في العالم.

اعترف المتحدثون في حدث لوس أنجلوس أن المملكة العربية السعودية تواجه التحدي المتمثل في التحول من اقتصاد إنتاج النفط إلى اقتصاد إنتاج الطاقة، إلى حد كبير من خلال التقدم في مجال الطاقة النووية ومصادر الطاقة المتجددة الأخرى. مع وجود خطط طموحة لمحطات الطاقة النووية الجديدة، وسوف تمتلك السعودية أيضا تكنولوجيا تحلية المياه على نطاق واسع للاستجابة لتوسع الاحتياجات الصناعية والسكانية. وكان نمو الناتج المحلي الإجمالي قد وصل هذا العام الى8.5 %، وهو من أعلى معدلات النمو في العالم.

ويعتبر التوسع في السكك الحديدة هو التوسع الأكبر في مجال النقل، فمن المقرر إنشاء 19 خط جديد للسكك الحديدية في العقد المقبل، مضيفا 9.900 كم من البضائع التقليدية، وتشكل خطوط السكك الحديدية عالية السرعة جزءاً رئيسياً من عملية التحول من اقتصاد الدول المصدرة للنفط إلى اقتصاد حديث لتصدير المنتجات البتروكيماوية، وتركز المملكة العربية السعودية بشكل أساسي على الخدمات اللوجستية والتعليم على مدى العقد المقبل، وتخطط الحكومة لإنفاق 450 مليون دولار للتوسع في مجال التعليم.

أوضح مدراء الشركات الأمريكية، فضلا عن فريق من مسؤولي وزارة التجارة في لوس انجليس أن الولايات المتحدة تنوي أن تكون شريكاً رائداً في هذه المشاريع الطموحة على مدى العقود المقبلة، كما ينتظر أن تشكل الفرص الاقتصادية بالنسبة لقطاع الشركات الأمريكية ورقة رابحة في المنازعات السياسية الحالية.

## رأي ■ «القاعدة» تذهب مع ذهاب الأسد

كتب ديفيد اغناطيوس في صحيفة واشنطن بوست في 2 ديسمبر/ كانون الأول الجاري أن الإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد قد تكون مجرد بداية لمحاولة جادة لمواجهة تنظيم القاعدة في سوريا. بالطبع هناك لا يوافق هذا الرأي، لكن الأسد نفسه لا يستطيع انكار هذه الحقيقة. ولكن كيف يمكن تشكيل معادلة بسيطة حول مواجهة «القاعدة» في سورية؟.

إن النقطة الرئيسية التي يمكن استنتاجها من وجهتي النظر المتضاربتين هي أن وجود تنظيم القاعدة في سوريا، وعودة تنامي قوته في العراق، وصل الى مستوى ينذر بالخطر. وبالتالي، لا بد من التصدي له. ولكن من هي القوى التي يمكن أن تقف في مواجهة «القاعدة»؟

ببساطة لابد من القول إن الأغلبية السنية في سوريا هي القوة الوحيدة الممكنة التي يمكن أن تواجه وتقضي على تنظيم القاعدة. كما أن مكافحة الأصولية التي اتخذتها الأغلبية السنية السورية جلبت معها هزيمة مزدوجة لتنظيم القاعدة. أولاً، أدى هجوم السنة إلى حرمان تنظيم القاعدة من السيطرة على البيئة العامة للصراع وساحات القتال فيها. ثانياً، إن الفصائل التي تعارض الأصوليين، بالإضافة إلى كونها مصدراً رئيسياً لوجستياً للمقاتلين، تساعد على دحر التنظيم الإرهابي.

ومع وضوح هذه الفكرة فمن الضروري التوصل إلى استنتاج بسيط هو أن أهل السنة في سوريا هم القوة الوحيدة الممكنة التي يمكن أن تقوم بهذه المهمة. وبالتالي، فإنها تحتاج إلى تعبئة وتنظيم وتسليح لهزيمة تنظيم القاعدة.

في هذا السياق، يرى المرء عبثية دحض حجة الأسد: اذ أن المطلوب من أهل السنة في سورية محاربة تنظيم القاعدة، الذي هو أيضا من السنة، جنباً إلى جنب مع جيش قتل عشرات الآلاف من السوريين، وفي بعض الأحيان بسبب انتماءاتهم الطائفية.

من المفترض الآن، أن نتوجه إلى الأغلبية السنية لنطلب منها الوقوف جنباً إلى جنب مع قاتليها «العلويين» لمحاربة السنة الذين ينتمون اليها!

يدعي الأسد أن جيشه ليس طائفياً ، بل هو «وطني». هراء. فكل السوريين يعرفون أنه بعد عقود طويلة من الأسد – الأب والابن – فإن الهيكل الأمني كله، قد تمت هيكلته بذكاء لتقييد السنة، ووضع عملية صنع القرار وحدها، وبإحكام تحت السيطرة العلوية، في حين تختلف جميع محاولات الحفاظ على «المظهر». يبلغ عدد الضباط العلويين في الجيش السوري 26 ألف ضابطاً من أصل 30 ألفاً.

إن أحد «الخبراء» المرموقين في واشنطن هزّ رأسه وسأل بحكمة «هل تم التخلي عن اللغة الطائفية بالدرجة الأولى؟» وكان جوابي هو «لماذا لا تذهب إلى حلب وترى ذلك في شوارع المدينة القديمة؟».

الواقع هو الواقع. وينبغي أن تكون البداية من التعرف على ما هو حقيقي، والبدء منه نحو ما هو إيجابي. فسوريا لديها تاريخ طويل من التسامح الطائفي. وقد سُحقت بلا رحمة من قبل قوات الأسد والقاعدة على حد سواء. ولا تزال روح التسامح الطائفي موجودة لدى الشعب لأنها متجذرة في تاريخه.

إن كلاً من واشنطن والمعارضة السورية المعتدلة، لا سيما جناحها السياسي، قد ارتكبتا أخطاءً لا تعد ولا تحصى. ولكن إذا كان لا بد من مواجهة القاعدة فإن الدروس المستخلصة يجب أن تلقي آذاناً صاغية، ولهذا يجب تنظيم «السنة» حول أهداف «واقعية» لا من خلال رأي واشنطن الواعظ، اذ يجب أن يشعر «السنة» أن الجيش لم يعد تحت سيطرة قاتليهم. لقد كان السيد اغناطيوس محقاً في أنه لا يمكن للأسد أن يبقى في السلطة إذا هبت غالبية السوريين لمحاربة تنظيم القاعدة. ومن دون ذلك، فإن هذا التنظيم سيبقى ويتوسع في الأردن ولبنان والضفة الغربية..

د. سمير التقي

# إشكاليات كونية وشمولية حقوق الإنسان

■ الدكتور عبدالله تركماني

كونية حقوق الإنسان تعني أنّ تبلور هذه الحقوق أو تضمينها في الشرعة العالمية هو ثمرة لكفاح الإنسانية عبر التاريخ في مواجهة جميع أشكال الظلم، ونتاج لتلاقح وتفاعل الثقافات الكبرى عبر الزمن، بما في ذلك الحضارة العربية – الإسلامية، كما تعني أيضاً أنه لا يجوز استثناء أحد، في أية منطقة أو في أي نظام ثقافي، من التمتع بهذه الحقوق، فهي كونية لأنها ترتبط بمعنى الإنسان ذاته وبغض النظر عن أي اعتبار.

وتكشف دراسة الوثائق الدولية المختلفة المتعلقة بحقوق الإنسان، وخاصة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 كانون الأول 1948، أنّ المفهوم الذي تحدده هذه الوثائق، التي حظيت بقبول واسع في المجتمع الدولي، هو مفهوم شامل ينطوي على ثلاث فئات من الحقوق، يتفق كل منها مع جيل معين من حقوق الإنسان ساهمت أقسام متباينة من البشرية في صياغته: الأولى، الحقوق السياسية والمدنية، وتتمثل في حقوق الحياة والحرية والكرامة الشخصية، البدنية والمعنوية، وضمان المحاكمة العادلة وحرية العقيدة والتعبير والتنظيم المهني والسياسي وانتخاب الحاكمين الخ. والثانية، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مثل حقوق العمل وفقاً لأجر عادل، والتعليم، والعلاج، والدخل المناسب. والثالثة، ما يمكن تسميته بحقوق الشعوب أو الحقوق الجماعية، مثل حقوق تقرير المصير والسلام، والتنمية والبيئة، فضلاً عن استخدام اللغة الوطنية وصيانة الثقافة القومية.

لقد أضحت قضايا حقوق الإنسان عالمية بامتياز، ولم يبقَ الاهتمام بها وبمدى احترامها منحصراً في ميدان معين أو مقتصراً على فئة محدودة، بل تجاوز هَمُّ المهتمين بها كل مناطق العالم، ولم تعد الحدود الجغرافية تشكل أي حاجز، كما أنه لم يبقَ من حق الدول التذرع بالسيادة الوطنية لمنع التدخل من أجل قضية إنسانية لرفع الظلم ورد الاعتبار للكرامة الإنسانية.

ومن المؤكد أنّ مبدأ احترام الاتفاقيات يشكل أساس القانون الدولي العام، فبدونه ينتفي كل تعامل أو وفاق دولي. كما أنّ هناك "معاهدة فيينا" المؤرخة في 23 أيار 1965، والتي تنص في ديباجتها على أنّ حرية الانضمام للمعاهدات ومبدأ حسن النية وضرورة تنفيذ الاتفاقيات مبادئ معترف بها عالمياً، وأنّ شعوب الأمم المتحدة تؤمن باحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات، وبأنّ تطوير الاتفاقيات من شأنه خدمة أهداف الأمم المتحدة واحترام حقوق الإنسان. وأضافت (المادة27) أنّ الأطراف لا يمكنها التذرع بالقانون الداخلي لتبرير عدم تنفيذ معاهدة صادقت عليها.

وهنا يثير بعض ضيقي الأفق ضرورة تجنب إثارة قضايا حقوق الإنسان حتى لا نقع فريسة التلاعب الدولي بهذه القضية، وأن نستدعي تدخل الأقوياء في الشؤون الداخلية لدولنا الضعيفة. والواقع أنّ هذه المقولة بها بعض الصدق، ولكن ليس الصدق كله. إذ أنّ استفادة الناشطين في الدفاع عن حقوق الإنسان، باعتباره مسؤولية مشتركة للبشرية، من قوة هذه الدولة أو تلك، أو من الدور الجديد المؤثر لمنظمات المجتمع المدني في العالم، أو من قدرة الأمم المتحدة على استخدام هامش استقلالها النسبي عن الدول الأعضاء لنصرة حركة حقوق الإنسان، لا يغيّر من تقديرنا لحقيقة أنّ هذه الحركة تنبعث فعلا من الضمير العالمي.

كما أنّ تبلور هذا المنظور يؤكد إدراكاً موحداً بأنّ احترام حقوق الإنسان لم يعد حكراً للسياسة الدولية، وإنما قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من السياسة الداخلية لمختلف المجتمعات، وأنه بذلك يتحول إلى معيار أمين للمشروعية والمصداقية السياسيتين.

وفي الواقع ثمة مجموعة معوّقات متضافرة تعيق تطور نظرية وممارسة حقوق الإنسان في العالم العربي، في إطار كونيتها وشموليتها كما وردت في الإعلان العالمي والعهدين الدوليين، وتأتي في مقدمة هذه المعوّقات تلك النابعة من الهيكل القانوني والتشريعي في الأقطار العربية، والبنية الثقافية – الاجتماعية. ومن الإشكاليات التي تستوجب المعالجة الجدية بغية الممارسة الفعلية لحقوق الإنسان يمكن أن نذكر ثلاثاً:

– ما هي وسائل إدراج الأحكام التي تناولتها الاتفاقيات الدولية في النظام القانوني للأقطار العربية ؟

– ما هي درجة القوة القانونية لنصوص الاتفاقيات الدولية في التسلسل الهرمي القانوني الداخلي للأقطار العربية، وإذا حصل تعارض بين التشريع الوطني النافذ وأحكام الاتفاقيات الدولية فأي نص أولى بالتطبيق ؟

–هل تجوز إثارة أحكام الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان أمام القضاء الوطني لدى الدولة العربية المنضمة لهذه الاتفاقيات ؟ وما هي الإشكاليات التطبيقية المتفرعة عنها ؟